

المشهد السياسي

الصفقات الأولى

عامر محسن

خلال مرحلة الحصار المتدرج ضد إيران، كان الرسميون في طهران يحافظون على واجهة من التفاؤل والثقة، ويطلقون تصريحات عن قدرة الاقتصاد على التكيف مع العقوبات، وأن القطاعات الأساسية ستجد بدائل محلية أو من مصادر مختلفة، ولن تعيقها الإجراءات التجارية والمالية التي سعت إلى عزل اقتصاد إيران وشلّه بالكامل. في الحقيقة، فإنّ الجميع يعترف اليوم بأنّه، بغض النظر عن الثمن الباهظ للعقوبات على الاقتصاد ككل (إذ أنها رفعت كلفة الأعمال في كل المجالات، وأنقصت النمو بعدة نقاط مئوية سنوياً)، فإنّ تكيف القطاعات الإيرانية المختلفة مع الحصار كان متفاوتاً.

في بعض الحالات، كمشاريع الغاز والبتروكيمياويات والبنى التحتية، كان هناك نجاح ملحوظ في استئناف النمو بالقدرات الذاتية (وإن مع تأجيل في التنفيذ وبكلفة مرتفعة)؛ فقد جزم المخطون الغربيون، مثلاً، أنّ توسّع الانتاج الإيراني من الغاز سيتوقف فوراً مع خروج الشركات العالمية، وإيران ليست لها خبرة في استخراج الغاز من تحت الخليج وبناء المنصات البحرية، ناهيك عن المصافي والأنابيب والبنى التحتية التي كان يتولاها الأجانب تخطيطاً وتنفيذاً. إلا أنّ الشركات الإيرانية تقوم، تبعاً، بتدشين مراحل من حقل «بارس الجنوبي» نفذتها بجهودها الخاصة، وقد اكتسبت خلال هذه التجربة خبرةً وقدرات حقيقية (بروي أحد المدراء الإيرانيين، في مقابلة، الصعوبات التي اكتنفها «منحنى التعلم» هذا، من استحالة استيراد أي مادة، بما فيها الأنابيب والصمامات، بحجة أنها قابلة للاستخدام العسكري، إلى الفوائد الفاحشة التي فرضتها المصارف القليلة التي واطبت على التعامل معهم، حتى أن المرحلة 12 من حقل «بارس الجنوبي» قد كُلفت ضعف ما تستلزمه بالمقاييس العالمية - وما زالت ماكينة ضخمة لشركته تربض على رصيف ميناء في دبي في انتظار الإذن بالتصدير).

أما في قطاعات أخرى، كصناعة السيارات والنقل الجوي، فقد كان تأثير العقوبات أعمق وأشدّ، ولم تتمكن الإجراءات المحلية من منع الإنهيار في انتاج السيارات من دون شريك أجنبي (فهبط انتاج كان بلامس المليوني سيارة سنوياً إلى أقل من مليون)، أو إيجاد حل للأسطول الجوي المتقادم في ظل احتكار مزدوج أميركي - أوروبي لصناعة الطائرات المدنية (حاولت إيران، في السنوات الماضية، الدخول في شراكات مع روسيا وأوكرانيا لشراء وإنتاج طائرات من تصميمهم، إلا أنّها لم تشهد نجاحاً، والروس والأوكران أنفسهم كانوا يخافون ركوب الطائرات التي تصنعها بلادهم).

لهذه الأسباب، لم يكن من المستغرب أن تتم الصفقات الأولى لإيران - وبعضها، بلا شك، تم التفاوض عليه مسبقاً - في هذه القطاعات بالذات، حيث الحاجة شديدة وقد تراكمت عبر سنوات الحصار. شركتا «بيجو» و«رينو» قد عادت بالفعل إلى البلد، قبل أي مؤسسة أو مصرفٍ أوروبي، وقد تضمّنت الاتفاقات التي وقعتها الرئيسي الصيني في طهران تمويلًا صينيًا لتحديث خطّ طهران - مشهد للقطارات وكهربته. خبر التمويل لم يكن مفاجئاً، خاصة أن الشركات المنفذة صينية، إلا أنّ أهم ما فيه كان أنّ هذا القرض يأتي ضمن مبادرة «الحزام الاقتصادي لطريق الحرير»، الذي تبني الصين عبره مجالاً اقتصادياً متصلاً (عبر شبكة مواصلات، وبنى تحتية، وأنابيب نفط وغاز) يمتد من حدودها إلى أوروبا. وهذا الإعلان يمثل التجلي العملي الأوّل لوضع إيران في قلب هذه الخطة.

ولكن أهم هذه الصفقات الأولى، بالمعنى التجاري، كان تسريب الصحف الغربية أن الرئيس روحاني سيوقع، خلال زيارته إلى باريس يوم الأربعاء، اتفاقاً لشراء 127 طائرة إيرباص مدنية، وقد حذت صحف ألمانية وسويسرية بعض طرازاتها، قائلة أنها ستضمّن 8 طائرات إي - 380 عملاقة (بيدًا تسليمها عام 2019)، و16 طائرة إي - 350 حديثة، إضافة إلى 20 من طراز إي - 340 بعيدة المدى، قد تكون مستعملة أو من مخزون «إيرباص»، لأنها خرجت من الانتاج، إلا أنّها رخيصة وجاهزة للتسليم الفوري.

الطيران المدني هو أحد المجالات التي تجلّت فيها وحشية العقوبات، وجورها الضغط على حياة الناس لاستخراج تنازل سياسي؛ فقد قتل آلاف المدنيين الإيرانيين على مرّ السنوات الماضية كنتيجة مباشرة لمنع صيانة الطائرات الإيرانية أو بيع قطع الغيار، ناهيك عن الطائرات الحديثة. فأصبح الإيرانيون - والطيران الداخلي وسيلة أساسية للنقل في بلاد صعبة جغرافياً - يخاطرون بركوب طائرات غير آمنة وأثرية (بالمعنى الحرفي للكلمة، إذ يسافر العديد من هواة الطيران إلى إيران خصيصاً لـ «تجربة» ركوب البوينغ-707 و727 والـ «جمبو» القديمة، نجوم عصر الطيران في السبعينيات)؛ بعد أن كانت إيران تملك أحد أكبر الأساطيل المدنية في المنطقة وأحدثها 1980.

عقد «إيرباص»، الذي سيخرج طائرات «بوينغ» المتبقية في إيران من الخدمة، قد يعني نهاية الشراكة القديمة بين «بوينغ» والخطوط الإيرانية التي استدارت، بالكامل، صوب المصانع الأوروبية - رغم أنّ قانون العقوبات الأميركي يستثنى، تحديداً، صناعة الطيران من الحظر، بغية تمكين «بوينغ» من المنافسة والبقاء في السوق الإيرانية الضخمة (يقال إن هناك محادثات مع «بوينغ»، إلا أنّ الإيرانيين لن يلتزموا بأي صفقة كبيرة مع شركات أميركية قبل انتخاب رئيس جديد، والتيقن من أنّه لن يكون دونالد ترامب، مثلاً، ويعلن الحرب على إيران).

بحسب مصادر إيرانية، قد يكون أمام هواة الطيران أشهر قليلة متبقية لتجربة الـ «جمبو» الكلاسيكية، التي كانت أيقونة الخطوط الإيرانية لعقود وما زالت تشغّل أربعة منها، قبل أن تستبدلها بالإيرباص - 340 وغيرها. بالتوازي مع رفع العقوبات، اتخذت واشنطن إجراءات تضمن ردع أكبر عدد من الأوروبيين من زيارة إيران: أي مواطن أوروبي أو استرالي يسافر إلى إيران - أو سوريا أو السودان أو العراق - سيمنع من دخول الولايات المتحدة من دون تأشيرة، كما هو المعتاد، وسيُجبر على التقدم شخصياً بطلب مسبق ودفع مئات الدولارات رسوماً. لهذا السبب، قد لا تتمكن إيران من جذب ملايين السياح بسرعة وسهولة؛ ولكنّ هذه الصفقات، على الأقل، ستحمي أبناء البلد من موتٍ مجاني ذاقوه لسنواتٍ تحت الحصار، حتى صار مجرّد الطيران الآمن ترفاً.

المواقف من الاستحقاق الرئاسي تراوح مكانها. والتهديدات الخليجية للبنانيين كذلك، كما العقوبات الأميركية على مناصري حزب الله. ويُضاف إلى ذلك سبب جديد للتوتر في مجلس الوزراء الذي لم يتفق بعد على تفعيل عمله، وسط هذه الأجواء، هل يستقيم الحديث عن حظوظ لانتخاب رئيس للجمهورية قريباً؟

سياسي، سرعان ما تمحى آثاره متى حان موعد التسوية. وعلمت «الأخبار» أنّ رئيس حزب القوات اللبنانية الدكتور سمير جعجع كثف في عطلة الأسبوع اتصالاته محلياً وإقليمياً في إطار حملة «تسويق ودعم» لمرشحه إلى رئاسة الجمهورية، العماد عون. وسواصل جعجع لقاءاته واتصالاته الدبلوماسية وحركة إعلامية عربية مواكبة لإطلاقه عملية ترشيح رئيس كتل التغيير والإصلاح. وفي وقت لا تزال فيه الأجواء بين القوات ونيابتي المستقبل على حالها من التشنّج نتيجة تمسك الطرفين بمرشحيهما، سجل اتصال من عون بالرئيس سعد الحريري الذي أجرى بدوره اتصالاً برئيس تيار المردة النائب سليمان فرنجية، علماً بأن الحريري قام بالخطوة ذاتها حين

داخلياً، بات الاستحقاق الرئاسي رهينة لآراء ثلاث. حزب الله يرفض قرار تيار المستقبل تسمية رئيس للجمهورية ورئيس للحكومة والحصول على قانون انتخابي وتفرد بالسلطة. تيار المستقبل يرفض مطلقاً وصول العماد ميشال عون إلى بعداً. أما عون ورئيس حزب القوات سمير جعجع فيرفضان أي تجاوز لصفتهما التمثيلية، كونهما يقدمان تحالفهما المسجد كمثل «شرعيّ وأول» لاكتثريّة المسيحيين. وكل واحدة من الكتل تراهن على عامل الوقت لجر الآخرين إلى خيارها. لكن الصراع الإقليمي يزداد سخونة يوماً بعد آخر، مع ما يعنيه من ارتفاع منسوب الحدة في الإنقسامات اللبنانية. رغم ذلك، تستمر القوى الداخلية في «تقطيع الوقت» ببعض المشاورات، وبسجال

تقرير

مقارنة بين المرشحين الرئاسيين:



القوى السياسية المرشحة لعون أقل استفزازاً من تلك المرشحة لفرنجية



للوهلة الأولى، يبدو العماد ميشال عون عيناً والنائب سليمان فرنجية عيناً أخرى في وجه واحد. إلا أنّ التحديق في برنامج ترشيح كل منهما ومن يقف خلفه وأمامه وتداعيات انتخابه، يؤكد أن المسافة الفاصلة بين العيينين أكبر من أن يسمها أي وجه مهما بلغت درجة الحؤول. ولا بدّ، بالتالي، من جراحة تعيد وجهه 8 أذار إلى حالته الطبيعية

غسان سعود

نجح تبني رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، ترشيح العماد ميشال عون في تحقيق غايته، لجهة وضع عراقيل جديدة في طريق المبادرة الحزبية الأخيرة. فالمبادرة الباردة كانت أيلة إلى التجميد، في انتظار لحظة إقليمية تتيح للقوى السياسية انتخاب سليمان فرنجية رئيساً، بعد تجاوزها العراقيل السياسية. إلا أنّ تلاقى عون وجعجع على رفضها مثل عرقلة مذهبية يصعب تجاوزها. وبما أن الوقوف أمام ترشيحي فرنجية وعون يثير ارتباكاً حقيقياً، واختيار الأفضل ليس مهمة سهلة، فمن الواضح أنّ الرئيس نبيه بري والنائب وليد جنبلاط لا يريدان أن «يطحشا»

ثلاث لآراء تجرّد الاست

اتصل به جعجع غداة لقاء باريس بين الحريري ورئيس تيار المردة، للاستفسار منه عن فحوى اللقاء وجدية الترشيح، وبإدراك الحريري حينها إلى الاتصال بفرنجية. وكان لافتاً أمس عدم مبادرة تيار المردة إلى نفي المعلومات التي جرى تناقلها عن لسان فرنجية. وتنسب هذه المعلومات إلى فرنجية قوله إنه لن يتراجع عن ترشحه إلى الرئاسة حتى لو طلب منه ذلك الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله والرئيس السوري بشار الأسد. وقالت مصادر سياسية «وسطية» لـ «الأخبار» إنّ ما نسب إلى فرنجية «صحيح»، وقال أكثر من ذلك، «فيما قالت مصادر في تيار المستقبل إنّ فرنجية أبلغ هذا الموقف إلى الرئيس الحريري. في السياق عينه، شنّ مناصرو القوات والتيار الوطني الحر ومستقلون هجوماً شديداً على النائب سامي الجميل عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بعد مؤتمره الصحافي الأخير الذي تناول فيه إقدام جعجع على ترشيح عون. وبلغت الحملة حداً قاسياً استدعى من الجميل التدخل، طالباً من مناصريه عدم الانجرار إلى السجالات والتزام النقاش الهادئ، ولقّنت مصادر سياسية إلى أن